

طبيعة المصطلح في الدراسات القرآنية- مصطلحات علوم القرآن أنموذجا.

The nature of the term in Quranic studies - terminology of Quranic sciences as a model.

حسين زكراوي¹، الشيخ خليفي²

¹ جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، zekrhasn@yahoo.com

² جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، khelificheikh@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/06/27 تاريخ القبول: 2022/04/21 تاريخ النشر: 2022/06/15

ملخص: يتناول هذا البحث قضية مهمة في التراث العلمي الإسلامي أُوِّى لها العلماء عناية منقطعة النظير، ألا وهي قضية المصطلح، الذي يعد معيارا دقيقا في التمييز بين العلوم والفنون وإيراد مسألتها، فلكل علم مصطلحاته الخاصة المتعارف عليها بين محققيه ومؤصليه، كما هو الشأن في المصطلح الأصولي والمصطلح الفقهي والمصطلح النحوي. فما هي طبيعة الاستعمال في مصطلحات علوم القرآن، بين العلماء المؤسسين لهذا العلم؟ وفي حقل علوم القرآن فنجد هذا الأخير يواجه أزمة في المصطلحات لعدم استقرارها، وتنوع استمدادها بين المتقدم والمتأخر من العلماء، ما حدى بالبحث إلى محاولة لتوضيح ذلك وتقريب هذه الأزمة، من خلال الوقوف على آلية وضع المصطلحات، وملاحظة الفروق بين العلماء في استعمال عينة من المصطلحات. وقد تبين من خلال التتبع لتلك الاستعمالات مدى تطور مصطلحات علوم القرآن الكريم منذ تأسيسها، كما تبين أثر الرّخم العلمي لدى المؤلفين في عملية الاصطلاح والتوضيح.

الكلمات المفتاحية: علوم القرآن؛ المصطلح؛ الاستعمال؛ المتقدم؛ المتأخر؛ التطور؛ السياق.

Abstract : This research deals with an important issue in the Islamic scientific heritage, which scientists have given unprecedented attention to: the issue of the term, which is a precise criterion in the distinction between science and the arts and the introduction of its questions. For each of its own terminology known to its investigators and originators, Jurisprudence and grammatical ... In the field of Quranic sciences, we find that there is a crisis in the term because of its instability, and the diversity of its use between the advanced and the late scientists, which led to an attempt to clarify this and bring the crisis closer by knowing the mechanism of terminology and observing differences between scientists in using a sample of terms.

Keywords: Quran sciences; the term; usage; the applicant; the late one; devlopment; context.

المؤلف المرسل: حسين زكراوي، الإيميل: zekrhasn@yahoo.com

طبيعة المصطلح في الدراسات القرآنية - مصطلحات علوم القرآن أمودجا.

1- مقدمة

وضع العلماء قاعدة علمية معروفة: إذا اختلفتم في الحقائق فحكموا الحدود (بن إدريس القرافي، دت، صفحة 4 و199).

فالعرب قديما كانوا يتواضعون الألفاظ بالاستعمال، فالمعاني عندهم مضمّنة في قوالب لفظية تعبّر عن حقائق تلك المعاني، يحملها كلّ قوم على ما تعارفوه. ولما بزغت شمس الإسلام، وأنزل الله القرآن الكريم على نبيه بلسان عربي مبين، أخذت اللغة نقلة نوعية حيث اختص القرآن الكريم باستعمالاته لكثير من الألفاظ في خطاباتة، كألفاظ الصلاة والإيمان والزكاة، التي أضحت تعبّر عن حقائق و دلالات مرادة من الشارع الحكيم تلك التي يطلق الفقهاء والأصوليون "الحقيقة الشرعية".

هذه الإطلاقات الشرعية كوّنت رصيذا مصطلحيا معتبرا ورسمت منهجا عمليا لتوليد المصطلحات الشرعية، لتكون بذلك أولى بوادر الاصطلاح الشرعيّ الذي ما فتى يأخذ منحى توسعياً بمرور الزمن، ليستقرّ في عصر التدوين على اصطلاحات الفنون والعلوم، فلفظ السنة مثلا له اصطلاح خاصّ عند المحدثين غير الذي عند الأصوليين وغير الذي عند الفقهاء، بل لو تقصّينا المصطلح الشرعيّ بالبحث التاريخي لوجدنا اهتمام العلماء بالتصنيف في مصطلحات العلوم مصاحبا لتقعيدها وتأصيلها. فإن الدارسين يقرون أن علماء العرب في العلوم الطبيعية قد استعملوا المصطلحات غير العربية، ولكن جميع مصطلحات الفقه وعلوم العربية أصيلة؛ لأنها انبثقت من الفكر العربي بعد الإسلام، وكانت المصطلحات تظهر مع ظهور العلم وتتطور بتطوره وتتقدم بتقدمه" (مطلوب، 1427هـ/2006م، صفحة 190).

وعلوم القرآن على غرار باقي العلوم منذ بداية التأليف فيها كان لها مصطلحات تعدّ بمثابة مفاتيح لتلك العلوم مبثوثة هنا وهناك في مدونات هذا العلم، وكما هو معلوم فإنّه ما من علم من علوم الشريعة إلا ومّر بمراحل في التدوين والجمع، يبدأ مضطربا ناقصا، وينتهي قائما تاما، وكذلك شأن المصطلحات فهي مصاحبة للعلم متصفة بوصفه، لهذا نجد المصطلح في مدونات المتقدمين بعيدة عن الدقّة وخاصية الاستعمال.

ولما كانت التصورات متقدّمة على التصديقات، والحكم على الشيء فرعا عن تصوّره، احتاج العلماء في بيان الحقائق إلى تقديم حقيقة كلّ شيء يريدون بحثه قبل بيانه، وكان الأقدمون يهتمون بتقريب المعنى ولو

حسين زكراوي، الشيخ خليفي.

بلفظ مرادف، ولا يتعمقون في تحديد الأشياء وبيانها بالحدود التي اصطلح عليها فيما بعد واصطلح على محترزاتها وشروطها، حتى انقلبت العلوم كلّها صناعة...اعتنى علماء كلّ فنّ بمصطلحهم الخاص وتعمقوا في تعريفات حتى صارت هي المرجع الذي يفزعون إليه عند الاختلاف في تحديد المفاهيم وضبط الحقائق، نقل القراني عن الفضلاء: إذا اختلفتم في الحقائق فحكموا الحدود (المختار الشنقيطي، 1424هـ/2004م، صفحة 6)

فهل طرأ على مصطلحات علوم القرآن ذلك التغيّر والتطور أم أنّها متمسكة بالثبات والاستقرار؟ هذا ماسنحاول الإجابة عليه من خلال هذا البحث المختصر مصطحبين في ذلك منهج الوصف وأداة الاستقراء، أما عن المحاور التي سيتناولها البحث فهي :

- الدراسة المصطلحية ومناهج البحث المصطلحي .
- تعريف المصطلح الشرعي وأهميته .
- ماهية المصطلح في علوم القرآن .
- الثبات والتغيّر في مصطلحات علوم القرآن وأثر الصناعة الأصولية في ذلك. مع نماذج تفصيلية لاستعمالات المصطلح بين المتقدم والمتأخر من علماء القرآن.
- أصالة مصطلحات علوم القرآن .
- المصطلح عند المعاصرين والسياقات المفاهيمية .
- المؤلّفات في مصطلحات علوم القرآن .

2- تعريف الدراسة المصطلحية ومناهج البحث المصطلحي :

أصبح البحث في المصطلح علما قائما بذاته خاصّة مع تشعب العلوم وتنوعها، إذ الإمام بالمصطلحات وإدراكها يسهّل على الباحثين الخوض في أبواب ومباحث أيّ علم من العلوم، وعلى هذا ارتقى المصطلح إلى الدراسة المستقلّة التي تعتمد على مناهج وضوابط، وهو ما سيتناوله البحث في ما يلي.

2-1- تعريف الدراسة المصطلحية: على كثرة كلام المختصّين في بيان المقصود بالدراسة المصطلحية

إلا أنّها تصبّ في معنى واحد، فهي "دراسة المصطلح ضمن تخصصه العلمي، ومحاولة بيان أبعاده التداولية

طبيعة المصطلح في الدراسات القرآنية - مصطلحات علوم القرآن أمودجا.

وأנסاقه المعرفية، وتطورات استعماله، بخلاف الدراسة المعجمية والدراسة القاموسية". (الودغيري، د-ت، صفحة 160)

يتبين لنا من تعريف الودغيري مدى إحاطة الدراسة المصطلحية، واستثمارها للانساق المعرفية، هذه الدراسة التي تقوم على مناهج خاصة سنتناولها لاحقا .

واليوم ومع تشعب العلوم و نشاط حركة الترجمة، ووفود المعرفة أصبح البحث في المصطلح التراثي ضرورة ملحة للبقاء على الخصوصية العلمية، فإنّ الوزن المعرفي في كل علم رهين مصطلحاته، فالدراسة المصطلحية من أهم الدراسات لا سيّما في عصرنا، حيث انفصم كثير من الدارسين عن مصطلحات التراث وضلّت عنهم مفاهيمها ومراميها. (المسدي، د-ت، الصفحات 10-12)

فالبحث المصطلحيّ على هذا لا يعدّ من المنح بل هو من صميم البحث العميّ ومحاولات التحديد وإحياء التراث وإعادة قراءته.

2-2-2- مناهج البحث المصطلحيّ :

لاشكّ أن للدراسة المصطلحية مناهجها البحثية التي تقوم عليها، فالمنهج غايته ومقصده التقصي والضبط، لا بدّ منه لضمان أي دراسة علمية، لأنّ الإخلال به سيؤدّي بالبحث إلى العشوائية والفوضى والتضارب.

وبتتبع جلّ الدراسات المصطلحية النظرية والتطبيقية، نجد أنّ المنهج واضح فيها، وفي ما يلي نعدّد تلك

المناهج وهي على الترتيب التالي:

2-2-1 - المنهج التاريخي في الدّراسة المصطلحيّة يعني: محاولة دراسة المصطلح بوصفه في حركته

التاريخية وصورته التطوّرية. أي دراسة نموه الدلالي من خلال مسيرته التاريخية(فكار، 1402هـ-1982م، الصفحات 14-16). وهذا ما تهدف إليه الدراسة المصطلحية كونها ضرورة حضارية، تتعلق ماضيا بفهم

الذات، وحاضرا بخطاب الذات، ومستقبلا ببناء الذات.(البوشخي، 1415هـ-1995، صفحة 3).

وعليه فإنّ المنهج التاريخي يسهم في تحديد استعمالات المصطلح منذ نشأته إلى آخر استعمال، ما يساعد

على وضع مؤشّر تطوّري للمصطلح ، ومعرفة مدى استقراره أو عدمه.

حسين زكراوي، الشيخ خليفي.

2-2-2 البحث بالمنهج الوصفي: هو عملية تشريح للمصطلح، أي قصد التعرف على جوهره، كما هو مستعمل في تراث عالم معيّن أو مدرسة معيّنة. ويتضمن المسح ودراسة الحالة، وتحليل الوظائف، والوصف المستمر على فترة، والبحث المكتبي والتوثيقي (الأنصاري)، أبحاث البحث العلمي في العلوم الشرعية، 1417هـ-1997م، صفحة 61).

إذا فلعلّ منهج من هذه المناهج آليات يقوم عليها وأدوات يستصحبها الباحث وهو يدرس مصطلح أو مصطلحات حقلٍ علميٍّ ما، إذ لا يمكن إغفالها وإلا كان البحث المصطلحي ناقصاً.

أما في ما يخصّ دراسة المصطلح وفق المنهج الوصفي فيكون أولاً بعنوانه كلّ مادة بأهم مصطلح فيها تبيينها عليه، ثمّ تحديد المعاني الكبرى للمصطلح الأهمّ ويكون ذلك عن طريق:

أ- تحديد معنى أو معاني المصطلح الرئيسية يراعى اجتناب الشرح بالغامض كالمترادف أو الضدّ، وإيثار اللفظ المألوف الدقيق غير الاصطلاحي ما أمكن، إلى غير ذلك مما تقتضيه طبيعة التحديد ووظيفته.

ب- ذكر صفات المصطلح أو المعنى التي تستفاد من مجموع أو بعض نصوصه، كالخصائص التي يميّز بها من سواه، والنوع أو العيوب التي ينعت بها أو يعاب، والأحوال التي يرد عليها من إضافة أو اطلاق، واسمية أو وصفية، وتعريف أو تنكير...

ج- ذكر العلاقات التي تربط المصطلح أو المعنى بسواه، والفروق التي تفصله عن سواه، ولاسيما التضاد والترادف، والتقابل والتناظر، والعموم والخصوص.

د- الإشارة إلى معنى أو معاني المصطلح الفرعية إشارة لا تتجاوز في العادة الإيماء، وقد تتضمن أهم أو كلّ ما تقدّم من تحديد وذكر للصفات والعلاقات، عند الاقتضاء.

هـ- عرض ضمائ المصطلح حسب الترتيب الهجائي، عرضاً غالباً ما يقف عند التحديد لقلّة النصوص عادة، وقد يجاوزه عند الإمكان إلى ذكر الصفات أو العلاقات.

-دراسة الباقي من المادة على نفس النهج تقريباً، مرتّباً علاقته بالمصطلح الأهم أولاً (الشاهد، 1415هـ-1995، الصفحات 18-19).

بتتبع هذه الخطوات وفق المنهج الوصفي يمكن للباحث أن يتوصّل إلى نتائج علميّة دقيقة في بحثه المصطلحيّ، ذلك لما توفّر لديه من آلية صحيحة، مع تظافر جملة الحقول العلمية الخادمة، كدلالة الألفاظ، والمعاجم التطوّرية، التي تسهم في إجلاء أصول استعمالات المصطلحات العلميّة، والصّلّة الدلالية القائمة بينها.

طبيعة المصطلح في الدراسات القرآنية - مصطلحات علوم القرآن أمودجا.

2-2-3 - المنهج الوصفي التاريخي: هو عبارة عن إعمال لأصول وقواعد المنهجين معاً الوصفي والتاريخي، في دراسة المصطلح، وهو إعمال يبني قواعد هذا على أصول ذلك، ويستثمر نتائج أحدهما لفائدة الآخر. (الأنصاري، المصطلح الأصولي عند الشاطبي، 1424هـ/2004م، الصفحات 63-76)
إنّ المناهج سالفه الذكر تُوظّف في الصناعة المصطلحيّة، بحيث تستقرأ المصطلحات عبر المسار التاريخي لها ومن ثمّ تصنيفها و ترتيبها ودراستها وفق المنهج الوصفي للخلوص إلى نتائج علمية مستوعبة لتلك المصطلحات موضحة لاستعمالها.

3- المصطلح الشرعي وأهميته:

قبل الوقوف على أهمية المصطلح الشرعي لابدّ لنا من التعرّض لمهيمته و تحديد معنى هذا المركّب اللفظي، فالمصطلح "كلمة مشتقة من الأصل اللغوي الثلاثي صَلَح، صَلَحَ وهو من باب: مَنَع، وكَرُم، ومن معانيه: ضد الفساد، والاتفاق؛ لأنه يقال: تصالح القوم، واصطلحوا، أي: اتفقوا على صلح" (الرازي، 1420هـ / 1999م).
أما من الناحية العملية فالاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر -خاص- مناسبة بينهما. وعرّفه عبد الصبور شاهين: "اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني، أو أي موضوع ذي طبيعة خاصة" (عبد الصبور، 1413هـ-1992م، صفحة 121).
وبهذا تكون التعاريف السابقة قد أدّت المقصود وأوفت بالغرض في تحديد مفهوم المصطلح.

والمصطلح كغيره من الألفاظ الدالّة يدرس على مستويات الوضع، الاستعمال، الحمل، أمّا الوضع فهو الاتفاق على معنى من المعاني وهو من أصول أيّ لغة كانت.
والاستعمال هو تداول اللفظ بمعناه أو بخلاف معناه، حسب البيئة التي تتداوله، فيكون استعماله عند قوم بمعنى غير المعنى الذي يستعمله آخرون "سوسولوجية المصطلح".
أما الحمل فهو أن يعمد المخاطبون إلى معاني هذا اللفظ التي شاع استعمالها، فيحملونه على معنى يتوافق مع منظومتهم اللغوية، وعرفهم الخطابي.

حسين زكراوي، الشيخ خليفي.

أما فيما يخصّ المصطلح الشرعي فهو لا يخرج عن الحقل الدلالي الذي سبق إلا من جهة الاختصاص فالمصطلح الشرعيّ هو ما يتواضع عليه علماء الشريعة-على اختلاف علومها وفنونها- من دلالات و تسميات المبيّنة و الجامعة للأحكام والضوابط والأدلة، المعينة على الاستنباط والتنزيل.

4- ماهية المصطلح في علوم القرآن:

من خلال ما سبق من مفاهيم وتعريف للمصطلح، وبعد النظر في تقسيمات العلماء لأبواب علوم القرآن ومباحثه يمكن أن نخلص إلى أنه اللفظ الجامع المستعمل لدى علماء القرآن للدلالة على معنى ما، إمّا أن يكون لغويًا أو شرعيًا.

أما عن أهمية إدراكه فإنّ للمصطلح الشرعي أهمية بمكان في الدراسات والأبحاث الشرعية، لمركزيته ولما له من قيمة تجديدية نابعة من استمرارية هذا الدين ومسارته للأزمنة والاعصار، فالبحث في المصطلح "بحث في صلب الدين وقوامه، فللفهم السليم لا بد من فهم المصطلح، وللتعليل السليم والاستنباط السليم لا بدّ من فقه المصطلح، وللتقويم القويم والتركيب الصحيح لا بدّ من فقه المصطلح، والدراسة المصطلحية منهج قائم بذاته في الدرس، يعتمد العلمية بشروطها في الوسائل، من الاستيعاب إلى التحليل فالتعليل فالتركيب، ويعتمد التكاملية حسب أولويتها في المراحل من الوصفية إلى التاريخية فالموازنة فالمقارنة، فهي ليست بحثًا في حدود الألفاظ وحسب بل جزء عظيم من أي علم لا يتحقق الخوض فيه ولا فهمه دونها" (البوشيخي، 1415هـ-1995).

وفي بيان هذه المركزية التي يؤديها المصطلح في الدراسة، يقول ابن تيمية: "وما من أهل فن إلا وهم معترفون بأنهم يصطلحون على ألفاظ يتفاهمون بها مرادهم، كما لأهل الصناعات العملية ألفاظ يعبرون بها عن صناعتهم، وهذه الألفاظ هي عرفية عرفاً خاصاً، ومرادهم بها غير المفهوم منها في أصل اللغة، سواء كان ذلك المعنى حقاً أو باطلاً" (ابن تيمية، درأ تعارض العقل والنقل، 1411هـ-1991م، الصفحات 222-223). معنى هذا الكلام أن المصطلح يكتسب وجوده من خلال تعارف أهل الاختصاص في كل علم على اسمه ومعناه كما يكتسب وظيفته من خلال تداوله واستعماله، وعلى هذا وقريب منه قوله "فمن لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها، ويخاطبهم بها النبي صلى الله عليه وسلم، وعادتهم في الكلام، حرّف الكلم عن مواضعه فإن كثيرا من الناس ينشأ على اصطلاح قومه وعادتهم في الألفاظ ثم يجد تلك الألفاظ في

طبيعة المصطلح في الدراسات القرآنية - مصطلحات علوم القرآن أمودجا.

كلام الله أو رسوله أو الصحابة فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عاداته واصطلاحه ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك" (ابن تيمية و تح: بن محمد قاسم، مجموع الفتاوى، 1416هـ-1995م، صفحة 243). و أول ما يظهر المصطلح يكون خفيا قليل الاستعمال، فكلمة تقادم عهده وضُح واستقرّ وكثر تداوله حتى يصير مصطلحا متفقا عليه متداولاً. وليس ثمة علم إلا وكان للمصطلح فيه قيمة علمية كما يقول الإمام الشاطبي (بن موسى الشاطبي و دراز، د-ت). فهو: "إما واصفاً لعلم كان، أو ناقلاً لعلم كائن، أو مؤسساً لعلم سيكون" بقراءتنا لهذا النقل يتضح مدى أهمية المصطلح لا في خدمة العلم بل في تطويره وتأسيس علم جديد، فلا يعتدّ بالعلم حتى يكون له قوامة ومما تكتمل به تلك القوامة-ولا يبدّ- المصطلحات، زيد على ذلك فإن المصطلح هو مادة الضوابط والقواعد التي تعدّ قوالب لفظية جامعة لشتات الجزئيات متسمة بالثبات والاستقرار، فكان المصطلح أولى ما تبني به لما أودع فيه من خاصيتي الجمع والثبات، فالمصطلحات زائد النسق الذي تركبت فيه يشكّل لنا القاعدة (الأنصاري، المصطلح الأصولي عند الشاطبي، 1424هـ/2004م، صفحة 49). فحين نقول: الزيادة على النص ليست نسخاً، فإن هذه القاعدة تضمّت من المصطلحات ثلاثة: الزيادة - النص - النسخ، وكلها حدود لمفاهيم معلومة عند أهل العلم فالزيادة لا تكون إلا من جنس الشيء ولا تعود عليه بالنقض، والنص هنا المقصود به النص الشرعي لأن باب النسخ متعلّق بثبوت النصّ المتضمن للحكم أو بإزالتها، والنسخ هنا هو ما استقرّ عليه الأصوليون والمفسرون أي إزالة حكم شرعي بنصّ متأخر عنه، لا ما كان يراد به عند المتقدمين من عوارض التخصيص والتقييد الداخلة على النصّ، وبهذا تكون القاعدة سابقة الذكر دالة على المراد دلالة نصية معروفة لها على وجه الحدّ الجامع المانع.

يقول الشاطبي في أهمية الإحاطة بمصطلحات العلم ومركزيتها في الفهم والإفهام: "إنّ من أهم الطرق الموصلة إلى العلم معرفة مصطلحات أهله (بن موسى الشاطبي و دراز، د-ت، صفحة 97)، وسبيل تحديد إطلاقات تلك المصطلحات هو استقراء كلام أصحابها والوقوف على السياقات التي استعملت فيها، فالاستحسان الذي ذمه الشافعي ليس هو نفسه الاستحسان الذي نادى به أبو حنيفة، و الباطن الذي ذهب إليه الباطنية غير الذي أراده خبر القرآن ابن عباس رضي الله عنهم وهكذا.

حسين زكراوي، الشيخ خليفي.

5- الثبات والتغير في المصطلح والمفهوم وأثر الصناعة الأصولية

حافظت مصطلحات علوم القرآن على دالاتها مقارنة بمصطلحات العلوم الأخرى، ذلك لأن علوم القرآن من العلوم البسيطة، وكونه علما بسيطا أي أنه عبارة عن نسيج مصطلحيّ ، لم يتطور أكثر من ذلك، وإن تطوّر فإلى مستوى التعقيد فحسب، ولم يرق إلى رتبة تأسيس الإشكالات حيث يتخذ لنفسه مناهج ذاتية وداخلية (الأنصاري، المصطلح الأصولي عند الشاطبي، 1424هـ/2004م، صفحة 77). لذلك فإننا نجد أنّ جلّ تلك المصطلحات-مصطلحات علوم القرآن- هي أسامي العلوم يعنون بها من صنّف فيها كعلوم أسباب النزول، والنسخ، والمناسبة، والمكي والمدني...، إلا أننا نلمح أصنافا أخرى من المصطلحات كتلك التي ألحقت مؤخرا من قبل المفسرين والبيانين والأصوليين، فیتحصل لنا أقسامٌ لمصطلحات علوم القرآن باعتبار خدمة العلماء لها:

الأول: ما استقرّ من المصطلحات على وضعه الأول: كأسباب النزول والمكي والمدني وغيرها، ومن هذا القسم المصطلحات التي استعملت في عصر التدوين والتي شاعت في الصدر الأول نذكر على سبيل المثال ما أطلق على المشكل.

المشكل: هُوَ مَا يُوهَمُ التَّعَارُضَ بَيْنَ آيَاتِهِ وَكَلَامِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مُنَزَّةً عَنِ الإِخْتِلَافِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1376هـ-1957م، صفحة 45).

الوضع المستقر لمصطلح "المشكل"

أما بالنسبة للوضع المستقر لمصطلح "المشكل"، فنجد من استعمل "جوابات القرآن الكريم": أطلق على الرد وبيان ما يتوهم فيه التعارض بين الآيات القرآنية وهو فن جليل، وممن صنّف فيه "سفيان بن عيينة" ذكر ذلك ابن النديم في الفهرست، وغيرهم ممّن جاء بعدهم اصطلاحوا عليه بـ "المشكّل" أو "مشكلات القرآن" ومن التصنيفات بهذا الاصطلاح "مشكلات القرآن" لأبي داود السجستاني، ومنهم من زاد عليه "تاويل مشكل القرآن" كابن قتيبة الدينوري، والقاضي عبد الجبار اصطلاح على هذا الفن بـ "المتشابه" وصنّف فيه كتاب "متشابه القرآن" وهو مطبوع بتحقيق د.عدنان زرزور، الذي حقق كتابه الآخر "الرد على مطاعن الملحدين، ومصطلح "المتشابه" نجده عند الراغب الأصفهاني الذي جاء بعد القاضي عبد الجبار بقرن من الزمن، ليستقر الاصطلاح بعد ذلك على "المشكل" و"المتشابه" و"المختلف" كما صنع الزركشي في البرهان.

طبيعة المصطلح في الدراسات القرآنية - مصطلحات علوم القرآن أمودجا.

الوضع المستقر لمصطلح "النسخ"

لا شك أن مصطلح النسخ من خير ما يتضح فيه موضوع هذا البحث فلو أننا استقرأنا كلام العلماء على اختلاف تخصصاتهم، لوجدنا شيء من التفاوت الاستعمالي لهذا المصطلح على أن تكون ثمة علاقة بين كل تلك الاستعمالات. وهو ضرب يستوجب إمعان النظر في الدراسة المصطلحية، فبعد النظر في المصطلح على وجه الترادف، تكون النظرة الثانية إلى المصطلح على وجه الاشتراك بحيث تتجلى طبيعته وسياقته الاستعمالية.

يقول الإمام بدر الدين الزركشي رحمه الله تعالى في البحر المحيط: "واعلم أن التخصيص شديد الشبه بالنسخ؛ لاشتراكهما في اختصاص الحكم بنقض ما يتناوله اللفظ، وقد فرقوا بينهما من وجوه" ثم ذكرها (الزركشي و العاني، البحر المحيط في أصول الفقه، 1413هـ/1992م، صفحة 327).

الثاني: ما أدخله المتأخرون ضمن المصطلحات، منها ما خصّ بالتأليف كجدل القرآن الذي كتب فيه الطوفي "علم الجدل في علم الجدل" الذي عرض فيه طريقة القرآن الكريم في الجدل والحجاج بجمع الآي المتعلقة بالموضوع فتخصيص الجدل بمصطلح ضمن خطابات القرآن الكريم يعدّ إضافة علمية، ومن ذلك أيضا بعض القيود على مصطلحات عوارض الأدلة من عام وخاص ومطلق ومقيد، ويعدّ من هذا القسم تدقيقاتهم في بعض المصطلحات كـ "سبب النزول" وهو الحادثة التي وقعت فنزل فيها القرآن الكريم، ولم يعتبروا قول الصحابيّ نزلت هذه الآية في كذا داخلا في ما وضع له مصطلح "سبب النزول" إن لم يكن على المعنى الأول، ومما دققوا استعماله أقسام النصوص من ظاهر ونص ومجمل ومحكم ومشكل وغيرها وهي مما قدّمته الصناعة الاصولية. كما غيّروا وخصّصوا بعض المصطلحات فمما غيروه مصطلح "الحذف" الذي أبدل بمصطلح "الاقتضاء"، ومما خصّصوه مصطلح "الكراهة" الذي استعمل عند بعض المتأخرين من علماء القرآن بمعنى "الحرمة" كما هو الحال عند الزركشي "وأما لفظ "يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"، وَقَوْلُهُ: {عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} فَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْمُحَرَّمَ؛ وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي كِرَاهَةِ التَّنْزِيهِ". (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1376هـ-1957م، صفحة 276).

الثالث: ما كان العمل فيه على سبيل الاقتناء والتحفّظ، وذلك في مصطلحات البلاغة التي صاحبت إيراد بعض المتأخرين لمباحث بلاغية كالتشبيّهات والاستعارات والمجازات، فبعض الأصوليين ممن كان مشاركا أو

حسين زكراوي، الشيخ خليفي.

مؤلفا في علوم القرآن لم ير من الصواب إطلاق تلك المصطلحات على كلام الله تعالى بل بعضهم لا يرى أنّ في القرآن الكريم مجازات أصلا سواء المرسلة أو العقلية، كما فعل الشاطبي مع كثير من مصطلحات الجناس والاستعارة وغيرها، بخلاف الزركشي نجده ينقل تلك المصطلحات البلاغية مع نسبة تلك الاصطلاحات لأصحابها بل وينشئ منها نشأ جديدا كتلك التي أورها في البرهان ، يقول:

" نوعا المجازولة سببان: أحدهما: الشبهة ويسمى المجاز اللغوي وهو الذي يتكلم فيه الأصوي والثاني: المألوسة وهذا هو الذي يتكلم فيه أهل اللسان ويسمى المجاز العقلي". (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1376هـ-1957م، صفحة 276)، ومما زاده من مصطلحات المجاز نقلا عن الأصوليين: الزيادة، كقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ذكره الأصوليون(الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1376هـ-1957م، صفحة 276). وكذلك مصطلحات الكنايات و التعريض(الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1376هـ-1957م، صفحة 200).

الرابع: ما أنشئ من المصطلحات ابتداء: منها مصطلحات عوارض الأدلة ضمن الكلام على أنواع الخاص والعام والمطلق والمقيّد، التي نقلها الأصوليون إلى علوم القرآن. (العلمي، د-ت، الصفحات 44-47).

من خلال هذه التقاسيم يتضح للدارس أحقيّة مصطلحات علوم القرآن بالبحث فهي ليست بالعمل الجديد ولا هي وليدة اجتهاد واحد، بل هي قديمة بقدم علوم القرآن الكريم. وعلى هذا تكون لهذه المصطلحات صبغة الأصالة، كما سيبيّنه البحث في مايلي.

6- أصالة مصطلحات علوم القرآن:

سبق في أقسام المصطلح أن منها ما أدخله الأصوليون ضمن مصطلحات علوم القرآن إلا أنه ينبغي أن نضع نصب أعيننا أن هذا القسم أول ما وجد ضمن البحث في علوم القرآن، ثم نقله الأصوليون ليعالجوه وفق صناعة المصطلحات والحدود ليستعمل لاحقا وفق هذا التعديل والبناء في مدونات اللاحقين.

عمد علماء القرآن في مصطلحات الفنون المختلفة -غالبا- إلى استعارة ما اصطّلك عليه القرآن الكريم نفسه، الأمر الذي أبقى على الصبغة-بالبناء الموحدة- القرآنية في تلك المدونات، وعلى خصوصية هذا العلم الذي لم يتغلغل فيه المنطق كغيره من العلوم ولنضرب على ذلك مثلا نقله الزركشي ، وهو "الاختلاف".

طبيعة المصطلح في الدراسات القرآنية - مصطلحات علوم القرآن أمودجا.

"سئِلَ الْعَرَابِيُّ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} فَأَجَابَ بِمَا صُوِّرَتْهُ: الْاِخْتِلَافُ لِقَطْعِ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ مَعَانٍ وَكَانَ الْمُرَادُ نَفْيِ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهِ بَلْ نَفْيِ الْاِخْتِلَافِ عَنْ ذَاتِ الْقُرْآنِ يُقَالُ هَذَا كَلَامٌ مُخْتَلَفٌ أَيْ لَا يُشْبِهُ أَوَّلَهُ آخِرُهُ فِي الْفَصَاحَةِ إِذْ هُوَ مُخْتَلَفٌ. (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1376هـ-1957م، الصفحات 46-47).

7- المصطلح عند المعاصرين والسياقات المفاهيمية:

لاشكَّ أن حقل الدراسات القرآنية حضي بعناية منقطعة النظر في العصر الحديث من قبل المفكرين والدارسين خاصة الذين نصبوا أنفسهم لصدِّ حملات الاستشراق المتكررة، وسموم الأفكار الحداثية المنقعة بقناع البحث والحفريات ونقد التراث بما فيه النصوص المقدّسة على زعمهم، فكان جهد أولئك الكتاب متمسما في عمومته بسمة التجديد في عرض ومناقشة الشبهات والأفكار الشاذة، وفي مايلي كلام مقتضب عن استعمال أحد المفكرين-وهو مالك بن نبي-لمصطلح الإعجاز في كتابه "الظاهرة القرآنية"، هذا الكتاب يناقش شيء من النكبة الفكرية العربية أنداك، وهو ظاهر من الاصطلاح الجديد الذي عنون به كتابه "الظاهرة" (بلخير، 2015، صفحة 110)

نحن نعلم أن مصطلح الإعجاز من المصطلحات الحادثة لم يرد به القرآن ولا السنة، بل ظهر في القرن الثالث الهجري واستفاض في القرن الرابع الهجري، مقترنا بلفظ "التحدي"، ثم ذاع في الدراسات العقدية ومطارحات علم الكلام، ليستقرّ في القرن الخامس على الإعجاز البياني وأسلوب النظم فكتب عبد القاهر الجرجاني كتابه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز"... (شاكر، 1423هـ-2002م).

فكتابه مالك بن نبي لهذا الكتاب كانت في زمن غلبت فيه نزعة التشكيك في مصدرية القرآن الكريم وصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الأمر الذي انعكس على مادّة الكتاب ووتيرة عرضها، والأستاذ محمود شاكر باعتباره معاصرا لمالك بن نبي معايشا لتلك الحنة أو الفتنة -على حدّ تعبيره- التي واجهها، وبناء على بحثه المعمق في مسألة الإعجاز قدّم نقدا لمالك بن نبي كون هذا الأخير استعمل مصطلح "الإعجاز" على غير المعهود من الاستعمال، في ذات الوقت أدخل في التفسير ما لم يعهده المتقدمون حيث جعل التفسير مبنيا على إعجاز القرآن، لأجل ذلك دعا إلى إعادة النظر في قضية الإعجاز في نطاق الظروف

حسين زكراوي، الشيخ خليفي.

الجديدة التي يمرّ بها المسلم اليوم، يقول: "وهنا تواجهنا مشكلة (الإعجاز) في صورتها الجديدة بالنسبة لهذا المسلم، أعني بالنسبة لأغلبية المسلمين المثقفين ثقافة أجنبية، بل ربما بالنسبة لذوي الثقافة التقليدية، في ظروفهم الثقافية والنفسية الخاصة، فلا بد إذن من إعادة النظر في القضية في نطاق الظروف الجديدة التي يمر بها المسلم اليوم، مع الضرورات التي يواجهها في مجال العقيدة والروح (بن نبي، 1420هـ/2000م، صفحة 63). ثم يقول رحمه الله عن سبيل دراسة هذا المصطلح والإمام بمدلولاته: "وإذن لا بد من تحديد هذه الكلمة لغة واصطلاحاً وفي حدود التاريخ، لأن عنصر الزمن ذو دخل في هذه القضية إذا ما اعتبرناها من دين إلى آخر، أعني في اتجاه تطورها.

أهل اللغة يرون أن الإعجاز هو الإيقاع في العجز. وأهل الاصطلاح يرون أن الإعجاز هو الحجة التي يقدمها القرآن إلى خصومه من المشركين ليعجزهم بها. فأما حين نريد تحديد هذا المصطلح في حدود التاريخ أي في تطور إدراك البشر لـ (حجة) الدين، وإدراك المسلم لـ (حجة) الإسلام خاصة، فلا بد من مراجعة القضية في ضوء تاريخ الأديان.

وهذا هو الإعجاز من نواحيه الثلاث (بن نبي، 1420هـ/2000م، الصفحات 59-60).

ثم نجد محمود شاكر في نقده يذهب إلى أنّ الإعجاز هو دليل النبي صلى الله عليه وسلم على صدق نبوته، كان يعرف (إعجاز القرآن) من الوجه الذي عرفه منه سائر من آمن به ...

الثاني: أن إثبات دليل النبوة وأن القرآن تنزيل من عند الله لا يكون منها شيء يدل على أن القرآن معجز ... فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة، أما صحة النبوة فليست برهاناً على إعجاز القرآن (بن نبي، 1420هـ/2000م، الصفحات 23-24)

بجمل الكلام في هذا المبحث أنّ المصطلح عند الدارسين المعاصرين لم يقف عند مفاهيم ضيقة بل أصبح قطب رحي حرب كلامية متسمة بطابع التجديد في الطرح كتلك التي كانت في قرون الرقي الفكري.

8- المصنفات في مصطلحات علوم القرآن:

إن للمعجم العلمي مزية عظيمة في حفظ المواد العلمية وتيسير الوصول إليها لما تتسم به من ترتيب وتبويب، ورصد لكل ما يتعلق بذلك اللفظ أو المصطلح، زيادة على ما فيها من رصد تطوّر للمصطلحات

طبيعة المصطلح في الدراسات القرآنية - مصطلحات علوم القرآن أمودجا.

العلمية خاصة، لهذا فإننا نجد معاجم علمية صنّفت في جمع المصطلحات المتعلقة بعلوم القرآن، وإن كانت معدودة وهي:

- معجم علوم القرآن تأليف إبراهيم محمد الجرمي، جمع فيه كلّ ما له صلة بعلوم القرآن من مصطلح علمي، ومصنّفات، وأسماء السّور، وألفاظ القرآن الغريبة والواضحة، وإن كان النصيب الأوفر فيه لمطلحات القراءات والتجويد، التي يفصّل فيها تفصيلا وافيا مع التمثيل كما في مصطلحات الإدغام والإخفاء وما شابهها.

في قسم الألف مثلا "أسباب النزول" ذكر التعريف والفائدة منها، مع ذكر أمثلة، وبعض المصنّفات فيه وهي ثمانية.

الكتاب يقع في ثلاثمئة وتسع وخمسين صفحة طبع في دار القلم بدمشق طبعته الأولى والوحيد عام 1422هـ الموافق ل2001م.

- معجم مصطلحات علوم القرآن تأليف الدكتور محمد بن عبد الرحمان الشايع، ذكر فيه المصطلحات وغيرها من أسامي السور والمصنّفات، و "أول ما نزل من آيات كذا"، وحشد آيات التشريعات بلفظ "آيات الوصايا" وغيرها و"آية الدّين" في قسم الألف، وفي قسم العين: "عادة القرآن"... وتسمّى أيضا بعرف القرآن، دون نسبة الاطلاقات لقائل ولا عزوها لمصدر، وهو ما ينقص هذا المعجم. ومن مزايا هذا المعجم تضمّنه لبعض المصطلحات الجديدة على سبيل المثال: "تاريخية النصّ القرآني": تعني أن القرآن الكريم محكوم ببيئته الزمانية والمكانية والبيئية. فهي دعوة ضارّة ضالّة تهدف بعثية لفظية لحبس القرآن الكريم في لإطاره الزماني والمكاني والبيئي، لمنع انتشاره وتطبيقه في الزّمن الحاضر والمستقبل" (الشايع، 1433هـ/2012م، صفحة 53).

يقع في 168 صفحة، طبع دار التدمرية بالرياض الطبعة الأولى سنة 1433هـ الموافق ل2012م، يتسم بالاختصار وترك الاسهاب في إيراد الأمثلة مع خلوّ من العزو.

بعد الوقوف على المحاور المعنونة في مقدّمة البحث القاضية بإثبات طبيعة الدراسة المصطلحية لمصطلحات علوم القرآن من خلال رصد استعمالات بعض منها بين المتقدّمين والمتأخرين، بعد كلّ هذا نخلص إلى أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث:

- علوم القرآن هي جملة علوم تختصّ بدراسة النصّ القرآني من حيث تنزيهه وتدوينه ولفظه والعمل به،.
- مصطلحات علوم القرآن في غالبيتها تتميز بالثبات والاستقرار، بخلاف مصطلحات باقي العلوم.
- حافظت مصطلحات علوم القرآن على صبغتها القرآنية كما هو الشأن بالنسبة لـ النسخ، التنزيل، الترتيل، المتشابه المحكم، التأويل...
- حفلت مدوّنات علوم القرآن بعدد المصطلحات الأصولية واللّغوية كـ المقصد والقرينة، بعد عناية أصحاب الصنعة الأصولية بالتأليف في علوم القرآن وذلك بيّن من لدن الكافيحي إلى زمن السيوطي .
- أفردت الكثير من المصطلحات المستجدة عند المتأخرين بالتصنيف كجدل القرآن للطوفي، بعدما كانت اطلاقات على أساليب معيّنة للقرآن الكريم.
- المصطلحات تتأثر بالسياقات التاريخية والمستجدات العلمية، فهي قابلة للتعديل والتكييف، كما مر معنا من مصطلح "الإعجاز" عند مالك بن نبي، وهذا راجع بالأساس إلى عناية المتقدّمين بالمفهوم وتأدية قصد الإفهام للدارسين، بخلاف منهج المتأخرين الذي يقوم على الدقّة في الاصطلاح، خاصّة مع تشعّب الفنون وتداخلها.
- المصطلح يفصح عن المعاني إذ هو وعاء للسياقات التداولية واستعمالات أهل العلم، فهو حَكَمٌ في الخلافات العلمية،

"إذا اختلفتم في الحقائق فحكموا الحدود" (بن إدريس القرافي، دت، صفحة 4 و199) في ختام البحث ندعو الباحثين إلى مواصلة البحث في مصطلحات علوم القرآن الكريم وعلم التفسير جمعاً وداسة، للقيام بهذين العلمين الذين نضجوا ولم يحترقا بعد، مع طرح التساؤل الآتي: هل ستتمّ مصطلحات علوم القرآن

طبيعة المصطلح في الدراسات القرآنية - مصطلحات علوم القرآن أمودجا.

بالبساطة والسذاجة كما كانت في مرحلة ما، أم أنّ تشعب العلوم وتداخلها سيفرض على الباحثين المعاصرين تحديد تلك المصطلحات أو تفريعها ؟

10- قائمة المصادر والمراجع:

أبو اسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، و تح: عبد الله دراز. (د-ت). الموافقات في أصول الشريعة. ط2. بيروت: دار المعرفة.

أبو العباس ابن تيمية. (1411هـ-1991م). درأ تعارض العقل والنقل. (ج1)، ط2. تح: محمد رشاد سالم، المحرر) السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود.

أبو العباس ابن تيمية، و عبد الرحمان تح: بن محمد قاسم. (1416هـ-1995م). مجموع الفتاوى. (ج1)، ط1. مجمع الملك فهد.

أبو بكر الرازي. (1420هـ / 1999م). مختصر الصحاح (الإصدار الطبعة: الخامسة). صيدا، بيروت: المكتبة العصرية.

أحمد بن إدريس القرافي. (دت). أنوار البروق في أنواع الفروق ومعه حاشية ابن الشاط (الإصدار د-ط). بيروت، لبنان: عالم الكتب.

أحمد مطلوب. (1427هـ/2006م). بحوث مصطلحية (الإصدار ط 1427هـ/2006م). بغداد، العراق: مطبعة المجمع العلمي.

بدر الدين الزركشي. (1376هـ-1957م)، البرهان في علوم القرآن. (ج2)، ط1. دار إحياء الكتب العربية.

حسين زكراوي، الشيخ خليفي.

بدر الدين الزركشي، و تح: عبد القادر عبد الله العاني. (1413هـ/1992م). البحر المحيظ في أصول الفقه. (ج4) ، ط2، سلطنة عمان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

د.عبد السلام المسدي. (د-ت). قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح (الإصدار د-ط). القاهرة: الدار العربية للكتاب.

رشدي فكار. (1402هـ-1982م). لمحات عن المنهجية والحوار والتحدي الإعجازي للإسلام ، مكتبة المهتمين (الإصدار ط1). مصر: مكتبة المهتمين.

الشاهد البوشيخي. (1415هـ-1995). مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ، (الإصدار ط1)، الكويت، دار القلم.

شاهين عبد الصبور. (1413هـ-1992م). العربية لغة العلوم والتقنية (الإصدار ط1). (نادي أبها الأدبي، المحرر) السعودية: دار الاعتصام.

عبد العلي الودغيري. (د-ت). تعليق الدكتور عبد العلي الودغيري على منهج المعجمية (الإصدار ط1). الرباط: دار المعارف.

فريد الأنصاري. (1417هـ-1997م). أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية (الإصدار ط1417هـ-1997م). الدار البيضاء: منشورات الفرقان.

فريد الأنصاري. (1424هـ/2004م). المصطلح الأصولي عند الشاطبي (الإصدار ط1). فاس: مركز الدراسات المصطلحية.

مالك بن نبي. (1420هـ/2000م). الظاهرة القرآنية (الإصدار ط4). (ترجمة عبد الصبور شاهين، المترجمون) دمشق: دار الفكر.

طبيعة المصطلح في الدراسات القرآنية - مصطلحات علوم القرآن أمودجا.

محمد المختار الشنقيطي. (1424هـ/2004م). تقديم الدكتور محمد المختار الشنقيطي لكتاب معمر

السنوسي - مقدمة في صنع الحدود والتعريفات (الإصدار ط1). باش جراح، الجزائر: دار التراث ناشرون.

محمد عبد الرحمان الشايع. (1433هـ/2012م). معجم مصطلحات علوم القرآن (الإصدار ط1).

الرياض: دار التدمرية.

محمود محمد شاكر. (1423هـ-2002م). مداخل إعجاز القرآن (الإصدار ط1). جدة: دار المدني.

المقالات

عبد الحميد العلمي. (د-ت). نظرات في أدلة الأحكام وعلاقتها بمصطلح علوم القرآن. مجلة دراسات مصطلحية

مراد بلخير. (2015). المظاهر الجمالية في توظيف المصطلح، ضمن مقال " القيم الفنية والجمالية في

كتاب الظاهرة القرآنية. (جامعة تلمسان، المحرر) مجلة الفكر الجزائرية التابعة لمخبر المرجعيات الفلسفية

والفنية (6).